الفصل السابع

التطور التاريخي واثره على التكوين الحالي لسكان شمال افريقية

« نظرة عامة ـــ سكان مصر ـــ العناصر النوبية ـــ البجاة ـــ المجموعة الشمالية ـــ الليبيون »

الفصل السابع

التطور التاريخى واثره على

التكوين الحالى لسكان شمال افريقية ☆

على الرغم من أن شمال إفريقية قد تعرض فى خـــلال تاريخه الطويل إلى هجرات بشرية متعدده أضافت دماء جديده إلى سكانها ، وعلى لرغم من وقوفه أمام تيارات سياسية وثقافية كثيرة كان لها أثراً بالغا فى تخطيط الحدود السياسية القائمة الآن بين دوله المختلفة ابتداء من الجمهورية العربية المتحدة فى الشمال الشرقى إلى المغرب الأقصى أو مراكش غرباً ، وعلى الرغم من هذا وذاك إلا أن شمال إفريقية قد أحتفظ بسمات جنسية وثقافية خاصة جعلت لتقارب بين دوله المختلفة فى أمـور متعدده أمر حتمى وضرورى . وتعتبر سلالة البحر المتوسط من أهم السلالات التى دخلت فى التكوين الأساسى لمعظم شعوب شمال إفريقية . فمع بداية العصر الحجرى الحديث وفد من جنوب آسيا جماعة تحمل الزراعة عرفوا باسم الليبيين الذين تمكنوا من نشر حضارتهم الزراعية فى شمال إفريقية .

ومن المعروف أن العناصر القوقازية التى وفدت إلى شمال إفريقية قد قدمت من ثلاثة طرق أولها برزخ السويس الذى جاءت عن طريقه الجماعات السامية التى أمتلأت بهم شبه الجزيرة العربية فى الشمال والجنوب ومن ثم هاجروا إلى إفريقية بطريق السويس وباب المندب . وذلك لأن استخدام برزخ السويس كان محدوداً فى مرور الهجرات قديما بسبب كثرة المياه الضحلة والمستنقعات به وفى

☆ اعتمدنا فى كتابة هذا الفصل على كتابنا عن « السلالات البشرية »

الدلتا ، ولذلك لم يستخدم على نطاق واسع إلا فى العصور الحديثة .

أما الطريق الثانى فيتمثل فى باب المندب الذى تدفقت منه السلالات الحامية التى هاجر بعضها جنوبا إلى بلاد الصومال والجالا والبعض الآخر هاجر شمالا — بعد أن جفت المستنقعات فى سهول أرتريا الجنوبية — حيث أتجهوا إلى الأقليم الواقع بين النيل والبحر الأحمر ، وكثير من هذه العناصر أتجهت نحو النيل نفسه.

وبالنسبة لبوغاز جبل طارق وهو المسلك الثالث للقارة الإفريقيه فلم يستخدم كمدخل للقارة إلا فى عصر الحديد وفى العصور التاريخية حينما أصبح طريقا للهجرات من أوربا إلى إفريقية ، بينما كانت وظيفته القديمة فى العصرين الحجرى القديم والحجرى الحديث كمخرج لسكان شمال إفريقية نحو أوربا .

ومن هذا يبدو أن سكان شمال إفريقية ينتمون أساسا إلى المجموعة القوقازية غير أننا يمكن أن نميز بين مجموعتين وهما .

أ — المجموعة الشرقية من القوقازيين .

ب — المجموعة الشمالية من القوقازيين .

ويطلق على المجموعة الأولى فى بعض الأحيان اسم الارتيريون ، وهم المجموعة الشرقية من سلالة البحر المتوسط بإفريقية وتضم المصريون القدماء والبجاة فى منطقة البحر الأحمر ، ومعظم سكان الحبشة (إلا مهرا والجالا والصومال والدناقل) والنوبيين أو البرابرة . وتتكلم هذه الجماعات اللغة الحامية التى تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية وهى : البربرية والتشاوية فى شمال إفريقيه ، والمصرية القديمة والقبطية المشتقة منها . والكوشية فى شمال إفريقية ، ذلك إلى جانب الجماعات الحبشية . وكل هذه الجماعات تنتمى أصلا لسلالة البحر المتوسط غير أنها أختلطت قليلا بالدماء الزنجية

أما عن تكوين سكان مصر فنلاحظ أن موقع الجغرافى لعب دوراً كبيراً فى تعميرها بالسلالات البشرية إذ أن وقوعها فى الركن الشمالى الشرقى من قارة إفريقيه عـــلى مقربة من برزخ السويس من ناحية ومن باب المندب من ناحية أخرى جعلها تتأثر كثيراً بالهجرات الأسيويه الوافدة إلى إفريقية . ثم أن وجود نهر النيل وطرق القوافل بالصحراء ساعد على أختلاطها بالجماعات الزنجية جنوبا ولذا فالأثر الزنجى يظهر فى منطقه لنوبه .

وينتمى المصريون القدماء أو المصريين الأوائل الذين عاشوا منذ عهد ماقبل الأسرات فى العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ ق.م.) إلى مجموعات الحاميين الشرقيين الذين ينتمون إلى سلالات البحر المتوسط ذات القامة النحيفة المتوسطة، والرأس الطويل ، والجبهه الضيقة ، والوجه الطويل لضيق ، والشعر الأسود أو الاسمر القاتم .

وقد تسربت دماء كثيرة مختلفة إلى مصر فى العصور التاريخية ، فنى عهد الدولة القديمة ظهـر فى أثناء حكم الاسرة الثالثة بمصر عنصر عريض الرأس مستدير الوجه عرف فى مصر باسم السلالة الجيزاوية ، وهو عنصر أرمينى أدخل تغيرات جنسية كبيرة على شكل المصريين منذ عهد بناة الاهرام حوالى ٢٥٠٠ ق.م. وقد ظل شرق الدلتا ميدانا للهجرات الاسيوية الاخرى : فنى حوالى الالف الثالثة ق.م. وفدت من فلسطين هجرة يهودية أستقرت فى أرض جوش بالشرقية ، ولم يقتصر الامر على هذا فحسب بل تأثر المصريون فى هذه المنطقة ببعض الهجرات العربية السامية ، غير أن هذه المؤثرات لم تحدث تغيرا جوهريا فى التكوين الجنسى للمصريين إذ أن كل الجماعات الوافدة كانت تنتمى إما لسلالة البحر المتوسط الطويلة الرأس أو السلالة الاناضولية العريضة الرأس ، وبعباره أخرى لم يكن هناك ثمة خـــلاف بين الصفات الطبيعية للشعوب الوافدة وبين الاساس الجنسى

لسكان مصر (شكل ٢٩) .

وفى العصر اليونانى والرومانى وفد إلى الدلتا كثير من اليونانيين واليهود الذى أستقروا فى مدينة الاسكندرية التى أسسها الاسكندر الأكبر فى عام ٣٣٢ ق.م. وفى مدن الدلتا الأخرى . وقد أنصهرت كل هذه الجماعات فى بوتقة الوطن المصرى بعد أن خلفت وراءها بعض صفات الشقرة الخفيفة بين المصريين فى لون العين وفى لون البشرة .

ومع دخول الإسلام فى القرن ٧ م. إلى إفريقية قدمت إلى مصر الهجرة العربية الكبرى التى جاءت على أفواج كثيرة تشمل جماعات تنتمى إلى سلالة البحر المتوسط وجماعات تأثرت بالسلالة الأرمنية العريضة الرأس . ومن أمثلة القبائل التى وفدت إلى مصر قبائل قريش وحمير ولخم وجهينة وقيس ، وقبائل بنى سليم وبنى هلال التى جاءت من الشمال وشمال إفريقية فى العهد الفاطمى ، كذلك قبائل كنانة وزويلة وبعض قبائل البربر .

وقد أندمجت بعض هذه القبائل العربية فى السكان المصريين الذين أعتنقوا الدين الإسلامى وتكلموا اللغة العربية ، وهكذا أصبحت التفرقة الجنسية صعبة بين العرب والأقباط فى مصر إذ أن كليهما من سلالة البحر المتوسط والسلالة الأرمينيه ، ويمكن القول أن الشكل المصرى العام كان من القوة بحيث أستوعب كل الأشكال التى دخلت إلى البلاد .

ويجدر بنا أن نذكر أن المصريين قد تأثروا أيضا ببعض الدماء التركية التى تدفقت إلى القاهرة وغيرها من المدن ، ذلك بالإضافة إلى أن ثمة اختلاطاً طفيفاً قد حدث بين المصريين وبين العناصر المتزنجة التى تتاخم مصر فى الجنوب ، وزاد على هذه المؤثرات قوة بعض عناصر الرقيق التى أدخلت العناصر المتزنجه فى تكوين

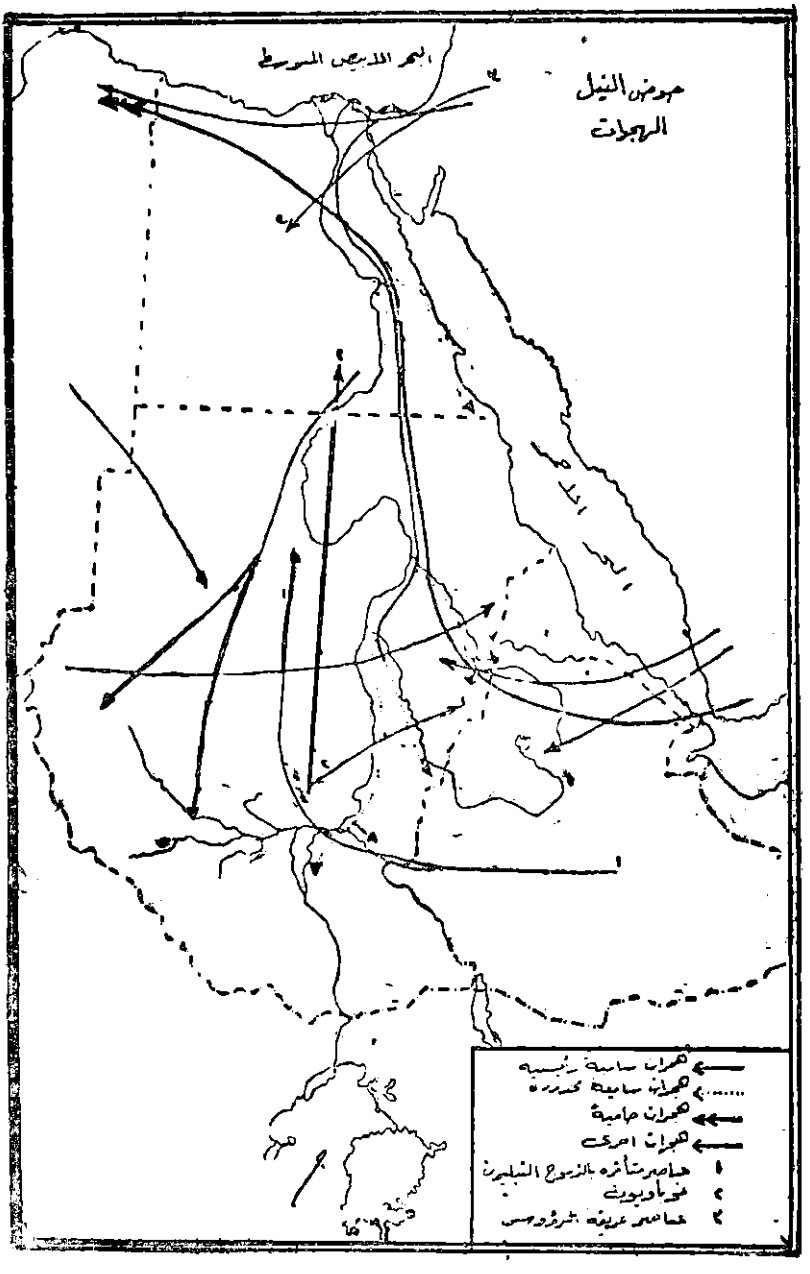

شكل (٢٩) الهجرات الى حوض النيل

بعض المصريين ونتج عن ذلك وجود بعض أفراد شعرهم مفلفـــل أو شديد التجعد وشفاههم مكتنزه .

وبصفة عامة يمتاز المصرى بالقامة المتوسطه (حوالى ١٦٦ سم) والأنف المتوسط والرأس الطويل (النسبة الرأسية ٥و٧٤) والبشرة السمراء التى تزداد كلما أتجهنا جنوباً حتى تصل إلى اللون البنى القاتم فى أقصى الصعيـــد وفى اعالى النيل . أما الشعر فهوفى العادة شديد التموج وبدرجات متفـــاوتة ، ولونه فى الغالب أسود أو قاتم .

أما عن العناصر النوبية التى تعيش فى جنوب مصر وشمال السودان فتمتاز بأن لون بشرتهم أكثر سمرة من المصريين ، كما أن وجوههم أطول وأضيق ، وهم نتيجة أختلاط بين المصريين القدماء والبجاة والجماعات الزنجيـــة وبعض الجماعات البدية القديمة . ولذلك نجد تقاطيعهم حامية رغم تأثرهم بدماء زنجيه فى عهد الدوله القديمة والوسطى وفى أيام البطالمة . وقد أستمر الأثر الزنجى واضحاً حتى الوقت الحاضر بين الأفراد النوبيين ، مع ملاحظه أن منطقة النوبه السفلى « النوبة المصرية » منطقة غير مأهولة الآن وذلك بعد نقل ســـكانها إلى كوم امبو نظراً لاغراق أراضيهم بمياه السد العالى .

ويشبه البجاة النوبيين فى أنهم يعتبرون من أقدم الجماعـــات القوقازيه الموجوده فى افريقية ، وهم بحكم بيئتهم البعيدة عن طريق المهاجـــرة أنقى جنسيا من النوبيين إذ لم يتعرضوا كما تعرض النوبيون للاختلاط بعناصر غريبة عنهم . وقد لاحظ أكثر من كاتب أن هناك شبهـاً قوياً فى الصفات الجنسية بين البجاة وبين المصريين القدماء مما يدل على قدم عنصر البجاة ، وعـــلى أنهم أستوطنوا البلاد التى يسكنوها اليوم منذ آلاف السنين. وموطن البجاه يتألف فى الوقت

الحاضر من الأراضى التى تقع بين البحر الأحمر شرقاً ونهر عطبره ثم النيل غرباً وتشابه البجاويين فى صفاتهم الجنسية لا يدع مجالا للظن بأن هناك عناصر أخرى قد دخلت فى تكوينهم الجنسى اللهم إلا القليل جداً الذى جاء عن طريق بعض القوافل التجارية فى الأطراف الشمالية أو عن طريق الاتصال بالحبشة فى الاطراف الجنوبية . وقد تمكن البجاوى عن طريق الابل من عبور مسافات كبيرة فى الصحراء الشرقيه ؛ وتمكن من الاتصال بوادى النيل وسكانه حيث تعلم منهم الزراعة وأستئناس الحيوان .

وعلى الرغم من أن البجاة ظلوا محتفظين بطابعهم فى العهد العربى إلا أن كثيراً من التجار العرب تزوجوا بنساء من البجاة ، وأقاموا بينهم حتى أندمجوا فيهم ، ولم يكن من بد أن يتأثر البجاة بالإسلام والثقافه العربية تأثراً شديداً ، ومن ثم أعتنقوا جميعاً الدين الإسلامى ، واصبح اكثرهم يعرف العربية معرفة تامة .

واما فيما يختص بتكوين المجموعة الشمالية فنلاحظ انهـا تشمل الجماعات التى

شكل ٣٠ — المجموعتان الحامية والسامية فى شمال افريقية

تتكلم الحامية فى برقه وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب ـ وتعرف اللغة الحامية فى هذه المناطق بأسم لغة لبربر « Libyco-Berber » ، كما يتحدث بهذه اللغة أيضا جماعات الطوارق والتيبو فى الصحراء الكبرى ، وجماعات الجونش Guanches فى جزر كناريا (شكل ٣٠) .

ويعد البربر من أقدم السلالات المعمرة فى شمال إفريقية إذ كثيراً ما تظهر بينهم صفات إنسان أفالو Afalou القديم الذى يرجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى ، هذا من جهه كما تظهر بينهم أيضا صفات طراز البحر الأبيض المتوسط الأطلسى الذى ترجع حضارته إلى العصر الحجرى الحديث . فالقاعده الجنسية لشمال إفريقية ترتبط أرتباطاً وثيقاً بجماعات العصر الحجرى القديم الأعلى الذين يعتقد بانهم حاميون وفدوا عن طريق الباب الشرقى لإفريقية .

وفى العصر الحجرى الحديث خرج من الحوض الشرقى للبحر المتوسط فى فتره متأخرة — كما يرى كون — جماعات تتحدث لغة البربر التى لا يزال يتحدث بها فى الوقت الحاضر كثير من سكان شمال افريقية . هذه الجماعات كانت تمثل فرعا من سلالة البحر المتوسط الذى حمل معه معرفة الزراعة واستئناس الحيوان .

ويطلق المؤرخون على سكان شمال افريقية غرب مصر اسم الليبيين وأحسن الامثله جماعات لبربر التى تقطن النلال فى الجزائر ، وقبائل الشاوية فى مرتفعات أوراس . وتصور نقوش المملكة المصرية القديمة (أى حوالى ٢٥٠٠ ق.م .) الليبيين باللون الاصفر ، وتبينهم شقر الشعر ، زرق العيون ، ذو لحيه شقراء . وقد أستمر هذا التقليد خاصاً يصور الليبيين فى العصور المأخره بعد ذلك ، فظهرت على جدران معابد طيبة التى ترجع الى ١٣٠٠ ق.م . كما أشار اليها اليونانيون فى القرن الرابع ق.م . ومن المهم أن نلاحظ وجود صفات الشقره

حتى الوقت الحاضر بين البربر الحديثين .

وقد كانت هذه الجماعات الليبية القديمة تنتشر فى مساحات واسعة، وكثيراً ما كانت حدودهم تصل إلى مصر إذ أن التاريخ القديم يحدثنا عن جماعات النحنو أو الليبو Lebu الذين كانوا يغيرون على غرب الدلتا من آن إلى آخر ولا يبدو لهذه الجماعات أثر فى ليبيا فى الوقت الحاضر غير أن لهم بقايا منعزلة فى شمال غرب إفريقية .

وأما عن أصل الليبيين فمن الناحية اللغوية ينتمون إلى الحاميين ، كما أنهم من الناحية السلالية يشبهون جيرانهم المصريين وغيرهم من الشعوب التابعة للفرع الشرقى من الحاميين . ولهذا فليس من المعقول أن نفترض نشأة خاصة لليبيين ونذهب للقول بأنهم أكتسبوا اللغة الحامية عن طريق الغزو فى عصور قديمة إذ تدل الشواهد على أن المصريين لم يظهروا فى أى وقت من الأوقات فى إفريقية الكبرى أو فى موطن الشعب الليبى حيث أن سيطرتهم على الليبيين كانت محدودة وقاصرة فقط على بعض القبائل الشرقية ، وحتى فى هذا المجال كان تأثيرهم ضعيفاً واهيـــا .

وترتبط مشكلة أصل الليبيين بوجود صفة الشقرة فى تونس والجزائر ومراكش ومصاحبة الحضارة الميجاليثية للبربر فى شمال إفريقية . فمن حيث صفات الشقرة فليس من المعقول أن تكون نشأتها إفريقية بل الاقرب الى الصحة المناطق الشمالية، كما أن الآثار الميجاليثية المتأثرة على ساحل شمال إفريقية غرب مصر هى نفس الاثار الموجودة فى آسبانيا والبرتغال وغرب فرنسا وبريطانيا والدانمارك ، بل أيضا فى بعض جزر البحر المتوسط ، مثل هذا التشابه يدعونا للبحث عن نشأتهم فى أوروبا أكثر من إفريقية وعلى أى حال فالشواهد السابقة جعلت أوروبا

تقاسم إفريقيه فى مجال البحث عن أصل الليبيين .

ورغم أن معظم الباحثون يرجعون صفات الشقرة فى شمال إفريقية إلى غزوات الوندال فى عصور قديمة إلا أن هناك من يرجع هـــذه الصفات إلى عامل أو أكثر من العوامل الآتية : —

أ — وفود عناصر شقراء إلى ليبيا عن طريق الشرق بعد أن طرد الهكسوس من مصر .

ب — جاءت عن طريق جنود المرتزقة الذين أحضرهم الرومان فى الغالب إلى افريقية .

جـ — ربما جاءت من أوروبا عن طريق جبال طارق .

د — وجود سلالة تتصف بصفات الشقرة فى شمال افريقية أرسلت حملة منها صوب مصر وأخرى صوب الشمال الغربى حيث ظهرت صفات الشقرة فى هذه الجهات .

فالتاريخ الجنسى لشمال افريقية يشير الى وجـود غزوات متتالية من الرعاة المتحدثين باللغة الحامية الوافدين من غرب آسيا الى المناطق التى شغلها زراع العصر الحجرى الحديث . فقـد ذكر هيرودوت أن أحفاد الفارسيين أدخلوا الحصان والسيف الى شمال افريقية ، كما أن زراعة المدرجات المعتمدة على الرى قد جاءت الى هذه المناطق عن طريق اليمن .

ويبدو أن من أولى الموجات البشرية التاريخية التى وفدت الى هذه المنطقة موجات الفينيقيين الذين قدموا من سواحل شرق البحر المتوسط عن طريق البحر وأستولوا على تونس ، وأسسوا قرطاجة فى النصف الثانى من القرن ٩ ق.م. ،

ثم انتشروا على طول الساحل الشمالى لبلاد المغرب. وقد امتاز هؤلاء الفينيقيون بالراس الطويل أو المتوسط ، والجبهة العريضة، والأنف الضيق والبشرة السمراء والقامة الطويلة .

وعقب ذلك وفد اليهود إلى بلاد المغرب فى عدد من الهجرات حدثت ابتداء من القرن ٣ ق. م. واستمرت حتى القرن ١٦ م. وقد سكنت لعناصر اليهودية القديمة تسمى أنفسها بالشيتم الأجزاء الداخلية . بينما العناصر ليهودية الحديثة التى طرأت من أسبانيا عقب خروج العرب منها سكنت المدن والجهات الساحلية . أما عن الرومان فيحدثنا التاريخ عن المنافسة الكبيرة بين قرطاجة وروما فى أسبانيا وفى غرب البحر المتوسط عموما وعن تحطيم الرومان لقرطاجة عام ١٤٠ ق. م. ، وتحول شمال أفريقية إلى مستعمره رومانيه ، وكيف أدخلت قبائل زناته ـ التى وفدت إلى شمال افريقية الرومانية فى القرنين الثالث والرابع الميلادى ـ الجمل الذى ساعد الطوارق على الاستقرار فى الصحراء . وبعد ذلك جاءت الموجة العربية الكبرى التى حملت الإسلام إلى شمال أفريقية فى القرن السابع الميلادى ، حيث توقف النفوذ الأوربى ، اليونانى والرومانى، الذى لم يعاود الظهور إلا بعد أن غزا الفرنسيون الجزائر .

وقد كانت هناك موجتان من موجات الهجرة العربية الرئيسية إلى شمال افريقية ، الأولى حدثت بعد وفاة الرسول مباشر أو فى أوائل انتشار الإسلام ووفدت من شبه الجزيرة العربية ، والثانية وقد كانت أوسع انتشاراً وأكثر أهمية من الأولى وذلك بسبب ضخامة أعدادها وقد حدثت فى خلال القرن الحادى عشر الميلادى على أيدى قبائل بدوية من الصحراء السورية .

وكان من نتيجة هذه الموجة أن اندفعت كثير من جماعات البربر صوب

الصحراء حيث استقروا فى مناطق غير ملائمة للمعيشة أو فى مناطق الزنوج التى أخضعوها . وتبع ذلك أن بعض جماعات البربر اختلطت بالجماعات الزنجية فتغيرت صفاتها الجنسية ولا سيما فى إقليم الفولنا ، بينما تمكن البعض الآخر من أن يحافظ إلى حد ما على نقاوة سلالته .

وقد استعربت جماعات من البربر بسهولة واعتنقوا الدين الإسلامى واشتركوا فى فتوحاته . وكان من أهم القبائل العربية الوافدة إلى شمال أفريقية بنى هلال وجهينه ، وقد وفدت الأولى خلال القرن العاشر الميلادى بينما قدمت الثانية فى القرن ١٢ الميلادى ، كما وفدت أيضاً الجماعات العربية العائدة من الأندلس فى القرن ١٥ م. وقد اندمجت كل الهجرات السابقة فى السكان الأصليين واختلطت بعض القبائل العربيه ببعض الدماء الزنجيه ، وكان اختلاطهم أكثر وضوحا من اختلاط البربر الزنوج .

وعلى أى حال فمن الصعب أن نضع حداً حضارياً أو جنسياً واضح المعالم بين الجماعات التى تتكلم العربيه والجماعات التى تتكلم البربرية ، وذلك لأن الحاميين والساميين ينتمون إلى سلالة واحده وهى سلالة البحر المتوسط . ولذا فيذكر عدد كبير من البربر الذين استعربوا أنهم من أصل عربى شأنهم فى ذلك شأن سكان البلاد الأخرى التى اعتنقت الإسلام .

وجماعات البربر التى تعيش فى المناطق الجبليه فى تونس والجزائر تشتغل بزراعة المدرجات، بينما الجماعات التى تتكلم اللغه العربيه فى المناطق السهليه والهضبه تحترف الرعى. ويشمل بربر الجبال قبائل الشاويا الذين يعيشون فى جبال أوراس والقبائل Kabyles فى المناطق الساحلية فى شرق الجزائر ، والشلوح والريفيون والبربر وجميعهم من أهل الجبال الذين اعتصموا بجبال أطلس. أما قبائل صنهاجة

فهى إحدى قبائل البربر التى فقدت لغتها البربرية وتعيش فى شمال مراكش ، وهم يشبهون بربر أطلس الوسطى ويشتغل بعضهم بالرعى والبعض الآخر بالزراعة ، كما أنهم يمتازون بالقامه الطويلة جداً ، والوجه الطويل والأنف المقعر .

ورغم أن الشقرة نادرة بين البربر إلا أنهم تبعـــا للصفات الهيكلية — يشبهون تماما النورديين . فالشقرة لاتظهر بصورة واضحة إلابين قبائل الريفيون فى مراكش ، ولون البشرة فى الغالب ابيض مشرب بحمرة ، والنمش نادر الوجود ولون العينين بنى فاتح أو أخضر ، والشعر موج أو مجعد ، وفى بعض الأحيـان لونه أسود وإن كان بصفة عامة يميل لونه إلى البنى أو البنى المحمر ، وشعر اللحية أقل كثافة من شعر الرأس ولونه أحمر .

ومن ناحية طول القامه فيمكن أن نميز فى شمالى إفريقية ثلاثة طرز وهى: —

أ ـ طراز طويل القامه ويمتاز بالرأس الطويل مع تناسق فى الوجه والأنف والملامح . ويشبه هذا الطـراز لسلالة النوردية بأوروبا ويسود فى وسط تونس وتمتد منطقة انتشاره غرباً حتى الجزائر .

ب ـ طراز قصير القامة عريض الرأس والوجه ، قصير الأنف نسبياً ، النسبه الأنفية مابين ٧٠ — ٧٢ » . ويتمثل هذا الطراز فى جمـــاعات بنى مزاب ، وجماعات القبائل بالجزائر ، وسكان جزيرة جربا والساجل المقابل لها .

ج — طراز متوسط القامة ويمتاز بالرأس الطويلة والنسبة الأنفية المتوسطة ، والشفاه الممتلئة ، والبشرة السمراء . وبعض جماعات هذا الطراز تعيش نقية نسبيا فى الجهـات الجبلية فى شمال تونس ، أو فى مقاطعة قسطنيه فى شرق الجزائر وحـــول مدينة الجزائر . ويرجع سليمان

أغلبية سكان شمال إفريقية إلى هذا النوع فى حين يرى كون Coon أنه من التعسف تقسيم المغاربة الشرقيين أو البربر على اساس جنسى واقترح تقسيمهم إلى أربعة أقسام على أساس بيئى ولغوى .

القسم الأول ويشمل الرعاة المتنقلين الذين يعتمدون فى حياتهم على الهجرة الفصلية وتشمل القبائل التى تتكلم اللغة العربية وتقطن السهول والهضاب .

القسم الثانى يضم سكان واحات الصحراء الكبرى (غرداية ـ وبسكره وترات وواغات وفيجيج) والمزاب الذين يتكلمون البربرية .

والقسم الثالث ويشمل بربر الجبال زراع المدرجات وهم قبائل الشاويا والقبائل .

أما القسم الرابع فيضم سكان المدن وهم خليط من عدة أصول تختلف من مدينة لأخرى منهم مسيحيون ويهود وزنوج وبقايا رقيق وأتراك نتيجة للحكم العثمانى السابق .

وأهم قبائل المغاربة الشرقيين جماعات القبائل والشاويا وبنى مزاب . ويطلق كلمة القبائل kabyles على الجماعات المغربية التى تسكن الجبال الساحلية ، وهم يشبهون الشاويا إلا أنهم أقصر قامة (١٥٦ سم) والنسبة الرأسية مابين ٧٦ ، ٨١ .ورغم وجود حالات شقرة بينهم إلا ان السمرة هى السائدة لون البشرة والشعر والعيون .

ويسكن الشاويا جبال أوراس ويشبهون العناصر النوردية إلى حد كبير فى القامة وشكل الرأس والوجه ولون البشرة إلا أنهم يختلفون عنهم فى سواد الشعر والعيون ، ويسكن بنوا مزاب واحة غرداية وهم اميل للقصر (١٦٣ سم) والبشرة سوداء رغم أن بعض العناصر الشقراء تظهر بينهم .

وأما مغاربة الغرب فنلاحظ أن المستعمـــرين من البربر يقطنون المناطق المنخفضة والسهول بينما الهضاب المرتفعة وسفوح السلاسل الجبلية التى تغطى مساحة كبيرة من مراكش يحتلها المتكلمون بالبربرية . وقد قسم بعض الكتاب مغاربة الغرب إلى أربع مجموعات وهى : —

١ — جماعات الريفيين وصنهاجة والفومارا والجبليون ، وجميعهم يسكنون الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط والجبال الواقعة إلى الجنوب من تطوان.

٢ — الشلوح على طول وادى سوس وفى جنوب غرب مراكش .

٣ — لبربر ويقطنون السفوح الشمالية والوسطى لسلاسل أطلس لعظمى.

٤ — الجماعات التى تسكن فى أقصى جنوب مراكش ويطلق عليها «الحرائيون» أو الدراعيون » .

هذا ويلاحظ أن نسبة الاختلاط بالزنوج تزداد بين الجماعات الأخيرة حتى أن من يراهم يعتقد أنهم زنوج رغم أن لغتهم حامية ، كما أن جماعات الريفيون هم أكثر جماعات المغاربة الغربيين شبها بالنوردين ، وربما كان ذلك راجعا لقرب هذه المنطقة من أوروبا .

أما عن سكان الصحراء الكبرى فأهم قبائلهم الطوارق (١) أو الملثمون الذين يتجولون فى مساحات كبيرة من الصحراء ويمكن أن نعتبرهم بربر . وقد أستطاعت الطبقة الأرستقراطية بينهم أن تحتفظ بشخصيتها ونقائها الجنسى رغم مجاورتها للجماعات الزنجية فى الجنوب . هذا وينتمى أيضا إلى هذه المجموعة التيبو سكان مرتفعات تبستى وقد أختلطوا بالعناصر الزنجية فى السودان الأوسط ، بينما الشماليون منهم يشبهون إلى حد كبير لبربر رغم أن قوامهم أغلظ .

(1) Briggs, L, G, Tribes of the Sahara, Cambridge, 1900, p. 124.